

المضي إلى ما وراء القمع: التدخلات المتصلة بعصابات الشوارع

التدخلات التي تستهدف كلا من العصابة والسلوك العصابتي تنتشر الآن على نطاق واسع. ويصف هذا الفصل بعض النظريات والممارسات المستخدمة في مجال وقاية وعلاج وجمع عصابات الشباب. وهو يقدم أمثلة شائعة لكل نوع من أنواع البرنامج، مستمدة من مناطق مختلفة، كما يقدم أدلة، حيثما وجدت، على فعالية البرنامج وكفاءته.

ثلاث مقاربات: الوقاية، العلاج، القمع. ترمي جهود الوقاية إلى الحد من مخاطر انضمام الشباب الضعفاء إلى العصابات وتمتين مقاومة عموم الشباب على عدم الانخراط في عضوية العصابات. والعلاج يشدد على تغيير مواقف وسلوك الشباب المنخرطين في عالم العصابات، وعلى الظروف الاجتماعية والعمليات التي تدعم منظمات مكافحة عصابات الشباب. أما قمع عصابات الشباب فيشمل أنشطة تستخدم في معاقبة أو ممارسة الضغط أو توجيه العصابات وأعضائها بغية الحد من سلوكهم المعادي للمجتمع. وقد يجمع بين اثنين أو أكثر من هذه المقاربات ضمن استراتيجية أوسع نطاقاً. ومن السمات المميزة لمقاربة الصحة العامة التي أثرت مؤخرًا على الدراسات التي تتناول عصابات الشباب هي تفضيلها استخدام الأدلة العلمية في تصميم وتنفيذ وتقييم التدخلات. مع ذلك فإن المقترحات المتصلة بالتدخل في مجال عصابات الشباب هي ميسرة للغاية، في العديد من السياقات، وأن ثمة عوامل أخرى تتجاوز، في كثير من الأحيان، قاعدة الأدلة.

الأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية. لئن تتسم عصابات الشباب بقواسم مشتركة عامة بينها، فإنها يمكن أن تختلف أيضاً في تركيباتها ومدى قوتها وأهدافها وشدة العنف الموظف، والنشاط الاقتصادي، وتركيبها الهرمية. وهذه الفروق ينبغي، في الحالة المثالية، أن تؤثر على تخطيط التدخل. إن بعض جوانب ثقافة العصابات هي الآن ذات صبغة عالمية، وغالباً ما تتفاعل الثقافات المحلية في كثير من الأحيان مع ثقافة «العصابات» المعولمة لإنشاء نظام معقد من المعاني، حيث يولد كل مجتمع ثقافات عصابية معينة و«أنماط» تدخل. كما أن بوسع الديناميكية المتصلة بالجنس أن تلعب دوراً مهماً.

استمرارية جماعات الشباب. من التحديات الجسام التي تواجه تصميم التدخلات المتصلة بعصابات الشباب تطوير تعريف مناسب لمثل هذه الجماعات. فمن المهم بمكان إدراك هذه المسألة خلال عملية تصميم التدخل. فعصابات الشباب تقع ضمن سلسلة متصلة من مجموعات الشباب. وكثيراً ما تنخرط عصابات المخدرات الشبابية في ديناميكية أسواق المخدرات وتجبر على التعامل مع عصابات بالغين وعصابات السجون تتحكم بهذه الأعمال. ويميل الشكل المرن للكثير من هذه العصابات إلى الحيلولة دون تطوير تدخلات بسيطة.

لعل الاستراتيجيات ذات المكونات العديدة وذات الأجل الطويل هي ما يحقق أثراً مستدامة.

وصفة غالبية مقاربات طويلة الأجل ومتعددة العناصر ومتكاملة، لا توجد استراتيجية وحيدة أو «رصاصية فضية» لمعالجة المشاكل ذات الصلة بالعصابات. وينبغي للاستراتيجيات، بدل ذلك، أن تطبق تدخلات متعددة تُضم إلى بعضها البعض بطرق خلاقة ومتناسكة وذات معنى بغية الوصول إلى نتائج واضحة المعالم. وقد تكون تكاليف الاستراتيجيات المتعددة العناصر والمستدامة مكلفة. أما التقييمات فتتطلب أساسيات علمية لوصف عملية تنفيذ برنامج ودرجة إخلاصه لبروتوكول البرنامج، فضلاً عن تقييم نتائجه وتأثيراته الأوسع على المجتمع. بيد أن التكاليف قد تكون باهظة وأن بعض الباحثين في حقل العصابات ما زالوا يشككون في جدوى التقييمات.

عضو سابق في عصابة مارا سالفاتروتشا يعمل في ورشة عمل للنقش اليدوي بوصف ذلك جزءاً من برنامج علاج لإعادة تأهيل العصابة الذي تديره الحكومة في إصلاحية سونسونات، السلفادور، نيسان/ أبريل ٢٠٠٨. © كايبراس خوسيه/ اف ب/ غيتي



استراتيجيات الوقاية المتصلة بالعصابات. تتصف العملية التي يصبح من خلالها الشباب عضواً في عصابة بالتدرجية. وتترك استراتيجيات الوقاية أهمية فترة التأقلم هذه، وتستهدف كلاً من عموم الشباب وأولئك المعرضين للخطر (الجانحين) في هذه المرحلة. أما البرامج التي تستهدف على وجه التحديد الشباب المعرضين للخطر فغالباً ما تنطوي على توفير البدائل التعليمية وغيرها لعملية الانضمام الى عصابات الشوارع. والوقاية دون الانضمام للعصابات تحركها نظرية مفادها بأن الحيلولة دون الشباب ودون الانضمام إلى العصابات أقل تكلفة وصعوبة من محاولة إخراجهم من صفوفها في وقت لاحق. وتقسم استراتيجيات الوقاية إلى مساع أساسها الشباب ومساع أساسها البيئة رغم شمول النتائج المتوقعة في الغالب الأعم على التغييرات الفردية والبيئية.

استراتيجيات العلاج المتصلة بالعصابات. تهدف استراتيجيات العلاج، الموجهة لأفراد العصابات النشيطين، إلى تغيير سلوكهم وإبعادهم عن الجريمة صوب بدائل مثل برامج ما بعد الدوام المدرسي، والرياضة والتدريب لاجاد عمل. كما ترمي إلى التأثير في العمليات التي تخضع لها العصابات، والمعالجة يمكن أن يكون قوامها الشباب أو البيئة. وتميل الاستراتيجيات الشبابية المنحى إلى تجنيد أفراد العصابة في برامج مصممة خصيصاً للاستشارة النفسية أو برامج علاج فردية أو جماعية أو عائلية. أما استراتيجيات المعالجة القائمة على البيئة فتوظف «فصل العاملين» الذين يطورون علاقات اتصال مع أعضاء العصابات، وتحشد، في الوقت نفسه، سكان المجتمع المحلي ومنظماته.

استراتيجيات قمع العصابات. استراتيجيات قمع العصابات تقوم على الشرطة والمحاكم والسجون. كما سعت الفرق الأمنية الأهلية المسلحة، وإن تفاوتت درجات إذون الدولة لها، لقمع العصابات أو السيطرة عليها. وتصنف استراتيجيات القمع بالقسرية أو البديلة رغم جمع كثير من البرامج بين هذين العنصرين. الاستراتيجيات القسرية تشدد على الاعتقال والعقاب والسجن لعزل وخفض عدد العصابات وأفراد العصابات. والاستراتيجيات البديلة لقمع عصابات الشباب تتضمن خفارة المجتمعات المحلية، فضلاً عن مفاوضات صنع السلام ونزع السلاح الطوعي.

الخلاصة. رغم عالمية ظاهرة العصابات وما يبدو عليه تأثيرها في كثير من الحالات بثقافة أسلوب عصابات الولايات المتحدة (غانغستر)، فهي لها في نهاية المطاف سياق معين، وهذه حقيقة تحتاج التدخلات المتصلة بالعصابات، التفكير فيها. ووفقاً للأدلة المتاحة، فإن المقاربة القمعية هي الوسيلة المهيمنة في التعامل مع العصابات. وقد تسفر الاعتقالات الجماعية مؤقتاً عن خفض معدل أعمال العنف، لكنها تفشل عموماً في معالجة الدوافع الكامنة وراء وجود العصابات والعضوية في العصابات. وما يعد بالمزيد هو الجهود التي جمعت المقاربات التقليدية لانفاذ القانون بعنصري العلاج والوقاية. ولئن تقوم استراتيجيات التدخل بصفة متزايدة على الأدلة، فإن هناك، على ما يبدو، عوامل ما خلا الأدلة تحدد كثيراً نوع البرنامج الذي ينفذ. البرامج الطويلة الأجل مكلفة وبعبءة عن متناول العديد من المجتمعات. اضع إلى ذلك، يبدو إن تفضيل أنواع معينة من التدخلات – مناهج دراسية في الولايات المتحدة و«مانو دورا» في أمريكا الوسطى، له امتداده الثقافي، بغض النظر عن الأدلة. كما يبدو أن نجاحاً على المدى الطويل يتطلب التزاماً طويلاً الأجل. وليست هناك حلول سريعة لمشاكل العصابات في العالم.